

ذكري الرئيس اللواء فؤاد شهاب - 24 نيسان 2012

مؤسسة فؤاد شهاب

www.fouadchehab.com

ترجمة كلمة الدكتور ستيفان ملساين Stéphane Malsagne

مؤلف كتاب "Fouad Chéhab 1902-1973 - Une Figure Oubliée de l'Histoire Libanaise"

## 1 - سيرة عن فؤاد شهاب، لماذا؟

إسمحوا لي بدايةً أن أشكر بحرارة مؤسسة فؤاد شهاب ورئيسها السيد شفيق محرّم والمحامي الأستاذ فؤاد جان ناصيف الذي كنت على تواصل دائم معه مؤخراً، فضلاً عن جميع اعضاء المؤسسة، للشرف الذي أولوني إياه بدعوتي لأكون بينكم اليوم لأعرض كتاب سيرة الرئيس شهاب الذي شكل بالنسبة لي عملاً مثيراً جداً ومغامرة شخصية مشوّقة. لم اعرف الشخص الذي سأحدثكم عنه شخصياً، كما اني لا أحظى بالخبرة ولا بالقرب من اللواء فؤاد شهاب خلافاً لكثير من الشخصيات الحاضرة بيننا، لذا فاني أتوجه اليكم بصفتي باحثاً فرنسياً حول لبنان.

بدأ اهتمامي بلبنان العام 1992 صدفةً. فخلال عملي كطالب شاب ارتبطت بعلاقة صداقة مع السيد طالب شهاب ابن شفيق اللواء من دون ان يكون لي أي معرفة عن شخصه او عائلته. ولكن سرعان ما علمت ان عمّه كان الامير فؤاد شهاب اول قائد للجيش في لبنان ورئيس البلاد من العام 1958 الى العام 1964. أثار هذا اللقاء اهتماماً كبيراً لدي. وعندما سألته ان كان ثمة كتب عن حياة عمّه ومسيرته، لم احصل منه الا على ذكريات الطفولة والمرافقة وبعض المراجع العامة غير الدقيقة.

دفعني فضولي الى التعمّق في المسألة في بداية مرحلة الدكتوراه في مادة التاريخ في جامعة باري-سوربون. وبغض النظر عن ذلك اللقاء، شاءت الصدفة في السنة ذاتها أن أكتشف وجود قاعدة ارشيف إستثنائية لم تكن قد استغلّت بعد، مودعة في الارشيف الوطني الفرنسي في باريس. ريمون ديلبرا المدير المساعد السابق للبعثة الفرنسية ايرفيد-لبنان من مهّد الطريق امامي للمرة الاولى لإستعمال الارشيف اللبناني للبعثة، وخصوصاً في تلك الفترة ارشيف مديرها الاب الدومينيكاني الفرنسي لوي-جوزيف لوبريه، معاون الجنرال شهاب وصديقه المقرب. كان اللقاء مع ريمون ديلبرا أساسياً. ففي فترة كان فيها الارشيف الدبلوماسي الغربي حول لبنان ما بعد فترة الانتداب غير متاح للباحثين، شكّل ارشيف ايرفيد اول منجم ذهب فعلي للإحاطة بكواليس رئاسة فؤاد شهاب. وشكّل التفحص المنهجي للارشيف اللبناني في ايرفيد، فضلاً عن اضافة وثائق شخصية لريمون ديلبرا بشكل تدريجي، فرصة بالنسبة لي لأقدم اعتباراً من العام 1992 اول عمل جامعي (ماجستير) يتناول الشهابية خلال رئاسة فؤاد شهاب ومن ثم كان لي في العام 1997 عمل جديد في مرحلة دبلوم الدراسات المتقدمة حول الاصلاحات الاقتصادية في لبنان بين عامي 1958 و1964. وسمحت زيارات عديدة لي الى لبنان حينها بلقاء اعضاء في مؤسسة فؤاد شهاب ولا سيما رئيسها السابق اللواء أحمد الحاج، ورئيسها الحالي السيد شفيق محرّم.

قبل صدور اول كُتب السير عن فؤاد شهاب بالعربية (من بينها كتاب باسم الجسر في العام 1988)، كان يتم التطرق الى اللواء شهاب بشكل عام في الاعمال والابحاث من خلال اصلاحاته الرئاسية خلال ولايته الرئاسية وعبر دوره الحاسم في احداث العام 1958. لذلك كانت الدراسات محدودة نوعاً ما. اولى كُتب السيرة التي صدرت في لبنان غالباً ما كانت لشخصيات شهابية كانت قريبة من السلطة وكانت شهادتها منوّرة وثمينة جداً للمؤرخ. ومن ايجابيات هذه الاعمال انها وضعت شخصية فؤاد شهاب للمرة الاولى في اطارها الشامل: اطار حياته (1902-1973) ومساره العسكري و

السياسي التي شكلت رئاسة الجمهورية من دون شك ذروته. استعملت هذه الاعمال مصادر ارشيفية (لا سيما الوثائق العسكرية للواء) الا انها لم تستغلها الا جزئياً وهي لم تأخذ في الاعتبار يومها المصادر الإضافية التي ظهرت في لبنان والخارج.

وبقي التناقض بارزاً بين الدور التاريخي الكبير الذي اضطلع به فؤاد شهاب في لبنان (لم يتردد البعض بمقارنته بالجنرال ديغول) وندرة الابحاث العلمية المكرسة له. وتجدر الاشارة هنا الى ان الاعمال الاولى عن فؤاد شهاب والشهابية هي اليوم شبه مفقودة من المكتبات اللبنانية. وكان يمكن تفسير "الغز" الذي احاط لفترة طويلة باللواء شهاب، بنقص المصادر المتاحة للباحثين. فعلاوة على التأخر في وضع الارشيف الدبلوماسي الغربي في تصرفهم، يشكل النقص النسبي في الوثائق المكتوبة والشهادات ل"مؤسس الجيش اللبناني" تفسيراً اساسياً لذلك. فخلافاً لمن سبقه في الرئاسة وبعض من خلفه فيها، يندرج فؤاد شهاب في فئة رؤساء الجمهورية اللبنانية منذ الاستقلال الذين لم ينشروا اي اعمال او مذكرات (باستثناء الخطابات الرئاسية الى الامة في 22 تشرين الثاني/نوفمبر). تقول الرواية الرسمية انه لم ير افادة في الكتابة الى لبنانيين شعر أنهم لم يؤمنوا بسياسته ولن يقرأوا تالياً ما قد يكتبه. ويفيد مقربون منه انه دون ملاحظات حول تجربته السياسية الا ان زوجته احرقتها على ما يبدو لعدم توريط عائلته. وهذا الامر الذي تأكد جزئياً تحول الى مسلمة شبه مؤكدة في بعض الاعمال، وقد كان لها على ما يبدو لفترة طويلة تأثير سلبي على الابحاث حول اللواء شهاب.

وفي وقت تصدر فيه الكثير من كتب السير العلمية حول شخصيات سياسية كبيرة غربية وشرق اوسطية من القرن العشرين، واجه المؤرخون في لبنان تحدياً يتمثل بمحاولة كتابة سيرة تلك الشخصية الجذابة والفريدة من نوعها لتلك الحقبة، رجل لطالما نفر من السلطة وكان همه الدائم المحافظة على الممارسة الديمقراطية في لبنان في بيئة عربية كانت تهيمن عليها بشكل كبير انظمة ديكتاتورية عسكرية. شكّل اللواء حالة مثيرة ان من قبل مؤديه او منتقديه. لقد حان الوقت لكتابة سيرته بعيداً عن المشاعر وذلك لتعريف الجمهور العربي به بشكل افضل من خلال انتشار اوسع (لم تكن تتوافر اي سيرة له بالانكليزية او الفرنسية) والأهم تعريف الجمهور اللبناني به بشكل افضل.

في لبنان الجمهورية الثانية، الذي يشهد محاولات متعددة للإعمار والتنمية يتم الاستشهاد بفؤاد شهاب بشكل واسع لدى قسم من الطبقة السياسية المعاصرة كمرجع لتلك المحاولات، تزداد اهمية الكتابة عنه. اود هنا الاشارة الى كتاب السيرة الجميل الذي كتبه العام 2009 الصحفي نقولا ناصيف وهو اجمل عمل سيرة متوفر حتى الان باللغة العربية حول الرئيس شهاب والذي يستند الى ارشيف لبناني استثنائي. بمساعدة أقرب المعاونين للرئيس شهاب، وُضع هذا الكتاب بتكليف من مؤسسة فؤاد شهاب التي ارادت تخليد ذكرى وإنجازات الرئيس شهاب.

لم اكن على علم بمشروع نقولا ناصيف عندما قررت اعتباراً من العام 2007 التحضير لعمل يتوّج اعماله السابقة، وهو اطروحة في التاريخ أنجزتها لدى جامعة السوربون العام 2008 وكان موضوعها: "فؤاد شهاب (1902-1973) مساهمة في دراسة شخصية تاريخية رئيسية من لبنان المعاصر". عملنا من دون ان ندرك في نفس الفترة على مشروع موضوعه واحد، مع اعتماد كل واحد منا مقاربات مختلفة ومنكاملة. والكتاب الذي يسرني عرضه عليكم والذي شرّفني معالي الوزير جورج القرم بكتابة مقدمته، هو النسخة المعدلة والمبسطة لاطروحتي. مشروع السيرة هذا اتى خصوصاً وليد الضرورة التي فرضت ذاتها علي، في اطار استكمال اعماله السابقة، بالكتابة عن مسار فؤاد شهاب من خلال استخدام كل المصادر المتاحة وتفحصها. الى جانب ارشيف ايرفيد (الذي يتضمن بشكل خاص اليوميات القيمة جداً للأب لوبريه في لبنان ووثائق داخلية هامة جداً للدولة اللبنانية) والوثائق العسكرية لفؤاد شهاب التي كان لي شرف الاطلاع عليها واستعمالها اعتباراً من العام 2002 (بفضل اذن من السيد عبدالله شهاب)، ظهرت ارشيفات جديدة بعد ذلك. لم يسبق لاي سيرة ان برزت هذه المصادر او عرضتها بشكل منهجي. هذا الامر يتعلق بالارشيف باللغة العربية والمصادر العسكرية (وثائق سلاح البر الفرنسي في المشرق) والدبلوماسية (ارشيف اميركي وبريطاني وخصوصاً فرنسي) التي فتحت اخيراً امام الباحثين، إضافة الى الوثائق الخاصة والمراسلات العائدة للإنتانندان لاي او الاب اليسوعي السابق لو

جينيسيل صديق الجنرال شهاب ومهندس مشروع الضمان الاجتماعي في لبنان. هذه الوثائق الجديدة كالتالي عرضها نقولاً ناصيف في كتابه، دحضت بشكل واضح مقولة ندره المصادر وسمحت بتجديد المعرفة بهذا الشخصية وبأثرائها، والتي لم يتردد باسم الجسر في وصفها بـ "المجهول" في اول سيرة كتبها العام 1988. مشروع السيرة الخاص بي لا يدعي باي حال من الاحوال عرض الرؤية الغربية حيال شخصية شرق-اوسطية، بل هو محاولة للتوصل الى دراسة شخص بالاستناد إلى مصادر لبنانية وعربية وغربية في آن. فباستثناء الصحف الناطقة بالعربية وصدور مؤلفات ومذكرات باللغة العربية سجلنا ضعفاً في المصادر الاولية المباشرة باللغة العربية المتعلقة حصراً بهذه الشخصية. ارشيف المدرسة الحربية اللبنانية ووزارة الدفاع والدولة اللبنانية قبل الحرب الاهلية تشوبها نواقص كثيرة وهي غير مفندة بشكل جيد، وان توفرت، يصعب الاطلاع عليها.

يتمحور عملي حول فؤاد شهاب على مسألة مركزية: الى اي حد فعلاً كان طرفاً مُنظماً للحياة العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد منذ بدايات الاستقلال في العام 1943 الى ايامنا هذه؟

## 2 - ما هي المقاربات المنهجية؟

الفكرة الاساسية لمشروع كتابة السيرة هذه قامت على دراسة شخص فؤاد شهاب انطلاقاً من المصادر الجديدة المتوفرة، كعنصر تاريخي لإستعراض تاريخ لبنان على المدى الطويل: من نهاية الحقبة العثمانية (سنوات شبابه ودراسته) حتى المرحلة المعاصرة حيث الاستخدام العام والسياسي لنهجه لا يزال ناشطاً.

هذه السيرة لا تسعى فقط الى تقديم حياة ومسيرة رجل مميّز ، بل التشديد ايضاً عبر سيرته على الاشكاليات الكبيرة لتاريخ لبنان المعاصر، كالعلاقة بين الجيش والسياسة واصلاح الدولة وتجدد النخب والتنمية الاقتصادية والاجتماعية واحترام المؤسسات والعيش المشترك ضمن مجتمع متنوع يتميّز بميل كبير الى المحاباة والطائفية في السياسية. يضاف الى ذلك جوانب سياسة لبنان الخارجية كعلاقة هذا البلد بمحيطه العربي او بالغرب مروراً بالموضوع الفلسطيني. كل هذه الاشكاليات المتداخلة التي غالباً ما كان فؤاد شهاب محورها أو عمادها تساهم في ضرورة ما سمّيته في مقدمتي "التعمّق في فكر فؤاد شهاب"، فذلك يعني في الواقع تحليل كامل لعمل الدولة اللبنانية منذ الاستقلال، إذ أن التعقيدات التي رافقت عمله وإرتبطت به لا تزال حتى ايامنا تشغل الشأن العام في لبنان.

يتطلع مشروع السيرة هذا الى ان يكون شاملاً فالولاية الرئاسية لفؤاد شهاب هي فيه فقط حقبة في مسار عسكري وسياسي يقاس تأثيره قبل العام 1958 بكثير وبعد العام 1964 بكثير. يسعى عملنا من جهة اخرى الى اعادة الاعتبار الى اطراف فاعلة وشخصيات الى جانب الجنرال لطالما حُجب دورها فترة طويلة، الا انها اضطلعت بدور اساسي داخل الدولة، مثلاً على ذلك الأستاذ شفيق محرّم نفسه رئيس المؤسسة الحالي. هذه المقاربة الجديدة من خلال الفاعلين تسعى الى تجنب كتابة قصة الشهائية التي بقيت محصورة لفترة طويلة بقائمة من الاصلاحات المؤسساتية والاقتصادية. كما تهدف الى التذكير بقوة بالتأثير الحاسم لهذه الشخصيات التي كانت وراءها. وتحاول السيرة ان تتناول اللواء شهاب قبل وصوله الى السلطة، فضلاً عن كل دوائر السلطة التي وضعت اعتباراً من العام 1958، وذلك لطرح الاسئلة حول تجدد النخب السياسية-الادارية في لبنان ما بعد الاستقلال. إن مسار دوائر السلطة المختلفة لا يسمح فقط بتأكيد التوجه الكبير المحب لفرنسا في خيارات شهاب التوظيفية، بل ايضاً الاولوية المطلقة الممنوحة في تلك الفترة للتدريب والمؤهلات المهنية وليس للانتماءات الطائفية. هنا نجد فعلاً القطيعة التي شكلتها الشهائية بالمقارنة مع النمط اللبناني العادي.

ويتمثل محور اساسي اخر في هذا العمل في عرض النقاشات التي غالباً ما كانت حامية حول شخصية اللواء شهاب اعتباراً من الستينيات، ووجود اسطورة ذهبية واخرى سوداء (مع انها اقلية) على المؤرخ ان يتحدث عنها ليعرض مسحاً

يتفق تماماً مع فكر اللواء شهاب ورؤيته من

وممارسته) و"الموالي للشهابية"، للتمييز بين مفهومين منفصلين. التوترات المتزايدة اعتباراً من العام 1964 بين فؤاد شهاب والرئيس الجديد شارل حلو الموالي للشهابية كقيلة وحدها بدعم هذا التمييز.

لكن ينبغي الإشارة الى انه على مر السنين برز اعتراف بالاجماع من قبل كامل الطبقة السياسية الحالية بشخصية رجل الدولة لدى اللواء شهاب وعظمته الاخلاقية. فأصبح اللواء مع الوقت مرجعاً كبيراً في الثقافة السياسية اللبنانية المعاصرة.

### 3 - المساهمات العلمية لهذا العمل:

المساهمات العلمية لهذا العمل اتت على مستويات عدة مختلفة: عائلية ووطنية واقليمية

يقدم هذا الكتاب توضيحات اضافية حول الرجل الذي ينتمي الى سلالة شهيرة من امراء آل على مستوى عائلة شهاب: شهاب الذين اضطلعوا بدور مركزي في تاريخ لبنان اعتباراً من الحكم العثماني. ويستحق تاريخ هذه العائلة ان يكون موضع عرض من المؤرخين. المعرفة التي كانت لدينا حتى الآن لشخصية فؤاد شهاب ازدادت من خلال هذا الكتاب بفضل توضيحات جديدة اخذت من الارشيف الذي اطلعنا عليه اكانت مراسلات خاصة أو تصريحاته الى سفراء والى مقربين منه او مستشاريه ومواقفه العامة وحتى "تردده" ذو المغزى خلال الازمات الكبيرة التي شهدتها البلاد في 1952 او 1958. ويسعى الكتاب الى الإضاءة على مساره قبل العام 1958 وبعد العام 1964 من خلال توفير التوضيحات الضرورية بالتسلسل الزمني حول مساره الشخصي منذ مرحلة الشباب الى حين وفاته في 25 نيسان/ابريل 1973. فلفترة طويلة كانت التواريخ تقريبية (أشير هنا خصوصاً الى سنوات الانتداب التي حصل خلالها فؤاد الشاب على غالبية ترقياته العسكرية) في المقالات او الاعمال التي تناولت اللواء شهاب. الكثير منها اعتمد على شهادات او على الصحافة اللبنانية. فكان من الضروري إعطاء تحديد أدق، فكان الاطلاع على الوثائق العسكرية للواء شهاب حاسماً في هذا الاطار.

تطمح هذه السيرة الى ان تكون مساهمة في تاريخ لبنان المعاصر. الى جانب على المستويين الوطني والاقليمي: التوضيحات على مستوى التواريخ والتسلسل الزمني يطمح الكتاب الى ان يعيد لفؤاد شهاب كل اهميته في التاريخ الوطني اللبناني وذلك لفترة زمنية اوسع بكثير من الولاية الرئاسية. فاللواء شهاب تولى مناصب استراتيجية كبيرة على الصعيدين العسكري والمدني داخل الدولة بعد فترة الانتداب وبالتالي فان التعرف بعمق الى مساره يشكل غنى للتاريخ الوطني. فقلة من الشخصيات اللبنانية المعروفة ب "رجال الاستقلال" شغلت مثله وبشكل متواصل مسؤوليات رفيعة في اعلى هرم الدولة. وتأتي خصوصية الرجل كونه اول قائد للجيش اللبناني يصبح رئيساً للبلاد، في عام 1958.

ومع انه تم الاعتراف رسمياً بفؤاد شهاب بشكل متأخر كأحد "رجال الاستقلال"، كان ينبغي اثبات ذلك من خلال الوثائق الارشيفية الجديدة. هل يظهر فؤاد شهاب اليوم في المناهج المدرسية كأحد الاطراف الفاعلة في الاستقلال الى

ومع انه كان طرفاً فاعلاً في الاستقلال، حافظ فؤاد شهاب على علاقات مميزة مع فرنسا التي كانت قد اختارته في مرحلة مبكرة ولفترة طويلة داعماً رئيسياً لمصالحها في لبنان. أظهرت سنوات الاستقلال الاولى للواء ليس فقط صعوبة بناء الجيش بل ايضاً كيفية التحرر من قوة استعمارية سابقة تجهز جيشه بشكل أساسي الا ان اسعار عتاها باهظة جداً احيانا ما يؤدي في غالب الاحيان الى لعب ورقة المنافسة.

ولا نسعى من خلال هذا العمل على اعادة النظر في المحطات الرئيسية في التاريخ اللبناني السابق للحرب الاهلية، الا ان الطموح هو الإضاءة عليها بفضل الوثائق الجديدة وإعادة تقييمها وتفسير بعض الاحداث اللافتة في مسار اللواء. وساعطي هنا بعض الامثلة:

- نبدأ في العام 1948 الذي شهد اول حرب اسرائيلية-عربية وكان خلالها فؤاد شهاب قائداً للجيش. نحن نعتبر هذا الحدث اساسياً في مسار اللواء شهاب اذ كان لا يُعرف إلا القليل عن دوره كقائد حربي في العام 1948 وفي طريقة عمل الدولة اللبنانية. يومها كانت الدولة مترددة حول تدخل ناشط للسلطة التنفيذية في الحرب وهي ارادة إستنتاجنا أن الجنرال خفف من حدتها لدى قواته للمحافظة على وحدتها. اطرح في هذا الكتاب فرضية ان تكون تلك هي مؤشرات اولى لنوع من الحيادية التي اراد اللواء فرضها على جيشه وهو موقف تواصل وجعل منه الرجل المنقذ بنظر الكثير من اللبنانيين في خضم الحرب الاهلية المصغرة في العام 1958. ومنذ تلك الفترة نما ايضاً نوع من التوتر والاستقلالية للسلطة العسكرية حيال السلطة المدنية وهي سمة دامت وتأكدت لاحقاً خلال ازمتي 1952 و1958.

- الازمة السياسية في العام 1952 التي شهدت استقالة اول رئيس للبنان المستقل تشكل محطة اساسية اخرى وقرت للواء فرصة لتولي الرئاسة. ويجدر التشديد بقوة هنا وبفضل الوثائق الجديدة على واقع ان رفض اللواء تولي السلطة حينها عكس ليس فقط حرصه العميق والثابت بعدم التورط في السياسة (وهو امر ملفت في الاطار الاقليمي العربي في تلك الفترة) بل الى أي حد فتح هذا الرفض الباب على مصراعيه امام تولي كميل شمعون لتولي الرئاسة.

- وفي حين ان الاعمال المتوافرة حتى الآن غالباً ما تُبرز فؤاد شهاب على الساحة السياسية الوطنية اعتباراً من احداث 1958، فان عملنا يسعى الى إظهار مدى أهميته في السنوات التي سبقت ذلك. بصفته قائداً للجيش مكلفاً بتأسيسه، وعسكرياً غير مرتاح لقرارات السلطة التنفيذية، وكشخصية من الصف الاول يستشيريه الدبلوماسيون الغربيون حول المسائل الوطنية والاقليمية الكبرى، كان اللواء شهاب مرتبطاً عن قرب او عن بعد بالرهانات الكبرى في مرحلته. نحن نرى ان المسار الوطني والدبلوماسي الهادف الى حمله الى السلطة كان قد انطلق قبل

- رئاسة فؤاد شهاب في شقها الداخلي والإصلاحي: ماذا يمكن ان نضيف على مرحلة درست بشكل واف حتى الآن؟ يحاول هذا الكتاب ، تناول كل جوانب الشهابية من بداياتها الى بعدها الإصلاحي والبشري مروراً بحضورها في لبنان الـ2012. فحصر الشهابية بسنوات 1958-1970 يحط بنظرنا من قدرها اذ اننا نتغاضى بذلك عن جذورها العميقة (منذ مرحلة الانتداب) وطابعها المعاصر. فعلى غرار الديغولية التي ارساها الجنرال ديغول، فان شهابية فؤاد شهاب تندرج بطبيعة الحال في سياق طويل للتاريخ اللبناني حاولنا ان نستعيده. وكان من الضروري ان تعطى المكانة المناسبة للارشيف الدبلوماسي الذي لم يكن مستعملاً حتى الان وكذلك ارشيف بعثة ايرفيد التي كان اللواء شهاب يوليها ثقة كبيرة مما كان يثير احياناً حفيظة جزء من الخبرات الوطنية. ولا يسعنا الا ان نشدد مجدداً على ان هذا الارشيف الفرنسي اللبناني الموجود بغالبيته الآن في فرنسا، يشمل وثائق اساسية لمن اراد الاحاطة بالاصلاحيات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها لبنان في مطلع الستينيات. إن الوضع الجديد الذي جسده رئاسة فؤاد شهاب في التاريخ اللبناني المعاصر اعطي حقه الكامل من خلال تعميم الخطاب الإصلاحي على اعلى المستويات بهدف دفع اصلاح الدولة نحو الحدائة السياسية-الادارية وتطبيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية لتجاوز التقليد الطائفي المترسخ وارساء شروط الانتقال من وضع الفرد الى وضع المواطن اللبناني.

على الصعيد الخارجي ، لم تكن رئاسة فؤاد شهاب بوضع المتفرج على الاحداث في الساحة الشرق الاوسطية بل كانت طرفاً فاعلاً. وكذلك الامر على صعيد سياستها الخارجية العربية (اللقاء مع عبد الناصر في العام 1959)، كان لديها ايضا توجه غربي اساسي و ارادة لا تنزعزع المحافظة على وحدة لبنان واستقلاله. وينبغي ايضا التشديد على دورها كوسيط في الحرب العربية الباردة من دون المبالغة في تأثيرها الفعلي على الساحة الاقليمية. وبشكل عام اكثر، ينبغي التركيز على نقطة اساسية لفهم فؤاد شهاب وهي مناهضته المعلنة للشيوعية وحذره الدائم من الجار السوري ومشاريع الوحدة العربية الهادفة الى استيعاب الكيان اللبناني. وهذا الحذر سيدفعه خلال رئاسته الى ممارسة لعبة توازن مستمرة على صعيد السياسة الداخلية والخارجية لمراعاة الحساسيات الطائفية والى اعتماد موقف معتدل في مجابهة اسرائيل تحت غطاء التضامن العربي. إن مناهضته للشيوعية هي على الأرجح عامل ينبغي اعادة تقييمه على طريق وصوله الى الرئاسة الذي اصبح ممكناً بفضل اتفاق اميركي-مصري. لكن يجب ايضاً اعادة تقييم العوامل الاقليمية في وصوله الى السلطة بسبب المناورات السياسية الداخلية الكثيفة والمبكرة التي دفعته الى القبول بالرئاسة.

- بعد انسحابه رسمياً من الحياة السياسية العامة 1964، اختفى فؤاد شهاب بشكل عام من كتب التاريخ اللبنانية كما وكان الصعوبات الكثيرة المرتبطة برئاسته دفعته الى مرتبة ثانوية في التاريخ الوطني. في هذا الاطار، يحاول هذا الكتاب ان يظهر ان فرضية الانسحاب السياسي ينبغي التخفيف منها جزئياً لان اللواء شهاب ومواقفه

- واخيراً إدراك قوة النزعة المحافظة في المجتمع اللبناني خلال رئاسة فؤاد شهاب يكشف العوائق البنيوية التي إصطدمت بها مشاريع اصلاح الدولة في لبنان.

ظهر ثقل خيبات الامل باكراً جداً لدى اللواء شهاب الذي كان يميل الى تحميل مسؤولية ذلك للطبقة السياسية في بلاده اكثر من العوامل الاقليمية المحضة (العامل الفلسطيني). وتشهد على ذلك المراسلات مع الاب لوبريه وستتفاقم خلال ولايته الرئاسية ومن بعدها لدى الذين خلفوه. خيبات الأمل هذه التي عبر عنها منذ مطلع الستينات وتواصلت حتى وفاته في العام 1973 كانت دليلاً على دوامة مفرغة ادت الى اندلاع الحرب الاهلية في 1975. إن التعمق في فكر فؤاد شهاب لا يكون فقط بالتفكير بموضوع الوحدة الوطنية وبناء الدولة الحديثة قبل الحرب، بل ايضاً (وهنا إفادة الارشيف الجديد) عبر طرح الاسئلة في مرحلة السلم حول اسباب التشرذم الداخلي لان مراحل السلم تحوي بذور العنف المستقبلي كما اثبت عالم الاجتماع احمد بيضون. وفي رسالة إلى الأب لوبريه في العام 1965، تنبأ الجنرال المتبصر قبل عشرة أعوام بخطر حصول الانفجار الكبير. وظل فؤاد شهاب بعد انقضاء رئاسته مؤثراً إلى حد كبير في تنظيم الحياة السياسية في بلاده عبر المواقف التي كان يتخذها أو الاقوال التي كانت تنسب إليه في الصحافة إلا أنه أيضاً بدا شاهداً على التشرذم والتفكك التدريجي للبلاد وفي نفس الوقت مدافعاً شرساً ودائماً عن المؤسسة العسكرية التي كانت تتعرض للهجوم من السياسيين وقد رأى أن إضعافها يساهم في إضعاف الدولة برمتها.

## الخاتمة:

أود أن أختم محاضرتي هذه بابداء رغبات ثلاث:

- أن تكون السير الحديثة لفؤاد شهاب مناسبة لتعريف أجيال المستقبل في لبنان على شخصية مركزية وفريدة طبعت تاريخهم الوطني.

- أن يتم استكمال الأبحاث حول اللواء شهاب لأنه من دون شك تبقى بعض المصادر غير متوفرة لا سيما الارشيفات العسكرية العربية الصعبة المنال. كما يمكن التوسع في جمع شهادات قدامى اللاعبين المؤثرين خلال الحقبة الشهابية، وينبغي القيام بذلك بشكل سريع جداً.

- تظهر الحاجة الكبيرة أيضا إلى مواصلة العمل على إنشاء مركز توثيق عن الرئيس شهاب يسعى إلى جمع كل الاعمال المنشورة حوله. إن الموقع الالكتروني الذي تم انشاؤه يشكل من دون شك مرحلة أولى مهمة جدا ومفيدة لكل الباحثين. يمكن أيضا التفكير في تجميع كافة الأرشيفات الشخصية للرئيس شهاب وكل الوثائق المتعلقة بمسيرته وولايته الرئاسية بهدف احصائها وترتيبها. هذا الجهد يساهم في إثراء التراث اللبناني، رغم الصعوبات التي تعترضه نظرا إلى وفرة الارشيفات وتشتتها جغرافيا. على غرار مؤسسة شارل ديغول التي تحولت الى مركز أبحاث حقيقي يمكن لمؤسسة فؤاد شهاب أن تحذو المهمة وتحقق هذا الهدف.

ستيفان مالسايين، 24 نيسان 2012